

عالم المعيش و مسألة الثقافة في منظور فينومينولوجيا هوسرل

تاريخ الاستقبال: 2017/03/13 - تاريخ المراجعة: 2017/05/22 تاريخ النشر: 2017/06/25

قواسمي مراد ، جامعة مستغانم
وبوستة كريمة، جامعة مستغانم

ملخص المقال:

لقد تطرق البحث الفينومينولوجي عند هوسرل إلى مسألة عالم المعيش في المراحل الأخيرة من تفكيره 'معناه في مرحلة فينومينولوجيا عالم الحياة 1935' فقد كان العمل الفينومينولوجي خلال هذه المرحلة يهتم تحديداً بالمواضيع الحياتية و الإنسانية 'وبصفة عامة نقول كان العمل في «مرحلة معينة» وهو طرح موضوع الثقافة و كل المسائل المرتبطة به ' ومن بين هذه المسائل نجد تحليله لمسألة في غاية الأهمية ' وهذا يعني توجيه بحثه الفينومينولوجي هذه المرة الى عالم المعيش والذي كان يقصد به هوسرل العالم الثقافي ' إنه العالم الطبيعي الأول الذي يعتبره الأرضية الأولى للأشخاص ولإنجازاتهم ' ولكل الممارسات الثقافية المختلفة التي تنتجها الذات الإنسانية. إذن فموضوعنا « عالم المعيش و مسألة الثقافة في منظور فينومينولوجيا هوسرل » والذي يحاول الإلمام بمسألة أساسية في فينومينولوجيا هوسرل وهي « اشكالية الثقافة » والتي يعرفها هوسرل على أنها الفلسفة وجميع العلوم.

الكلمات المفتاحية: الفينومينولوجيا ' عالم المعيش ' عالم الحياة ' الثقافة ' العالم اليومي ' الأزمة ' البينذاتية.

Summary

Phenomenology has been studied at Husserl To the question of the world of living In the final stages of his thinking' Its meaning in the stage of the phenomenology of the world of life 1935. Phenomenology during this period was particularly concerned with life and human subjects' In general we say the work was at a „certain stage“ The theme of culture and all matters related to it Among these issues is his analysis of a very important issue' This means that this phenomenological research will be directed to the world of living Which was intended to Husserl cultural world' It is the first natural world to be regarded as the first floor of people and their achievements' And to all the different cultural practices accomplished by the human self' So our theme is „The World of Living and the Ques-

tionof Culturein thePerspectiveofHusserl'sPhenomenology“Who
istryingtolearn a fundamental question in Husserl'sphenomenology' Itisthe
„problematicculture“ thatHusserldefinesasphilosophyand all sciences.

keywords:Phenomenology 'World of Living 'World of Life'theculture'
Daily World 'thecrisis 'intersubjectivité.

المقال:

نجد إهتماما بالغا بمسألة عالم المعيش عند هوسرل وذلك للأهمية الكبيرة التي يتضمنها داخله ' فهذا العالم الأول هو الذي ساهم في بناء العالم الموضوعي المرتبط بالنظريات العلمية والصياغات والقوانين الرياضية ' لكن هذا العالم الثاني (العالم الموضوعي) قد نسي هذه البدايات و البدايات الأولى التي ارتبطت بالعالم قبل العلمي (عالم المعيش) ' لقد التفت هوسرل الى هذا الموضوع في نهاية تفكيره ' أي في المراحل الأخيرة من تفكيره (تتسم فينومينولوجيا هوسرل بثلاث مراحل تاريخية تحدد مراحل التفكير التي مرت بها الفينومينولوجيا الترنسندننالية ' بحيث كل مرحلة تتعلق بدراسة مواضيع ومسائل معينة ' وهذه المراحل الثلاث هي: 1- مرحلة رياضية منطقية 1891-1901. 2- مرحلة مثالية ترنسندننالية 1913-1930 والمرحلة الأخيرة هي مرحلة فينومينولوجيا عالم الحياة 1935).

وهذا ما تسبب في حدوث ما يعرف بأزمة عالم المعيش وبالنتيجة أزمة الثقافة ' وهذه الأخيرة لن يتسنى الخروج منها الا اذا ارتبط هذا العالم الموضوعي بعالمه المعيش الأول ' هذا العالم الأول الذي يمثل الأرضية الرئيسية للثقافة ' ومن هذا المنطلق سيكون بحثنا هذا منكبا على دراسة مسألة عالم المعيش وتحديد فكرة الثقافة عند هوسرل ' فما معنى عالم المعيش عند هوسرل؟ وماهو التصور الهوسرلي للثقافة؟

يعتبر عالم المعيش هو العالم الأول اليومي الذي ترتبط به حياتنا البسيطة قبل العلمية ' هذه الحياة اليومية التي كانت تتميز بطابعها الخاص في مقابل تلك الحياة الفلسفية ' حيث كانت حياة الانسان اليومية التي كانت آنذاك خارج الاهتمام الفلسفي ' ولهذا نجد هوسرليوضح لنا الفرق بين هذين النمطين من الثقافة ' حيث أن لكل نمط طبيعته الخاصة ' وغايته ' لكل ثقافة وظيفتها وأهميتها بالنسبة للوجود البشري ' كما يراها هوسرل أنهما متكاملتان ومتداخلتان فيما بينهما ' وكل واحدة تستند الى أخرى ' فعلى الرغم من أن الحياة اليومية تكون فيها المعرفة نسبية ' وأسلوبها البسيط الا أنها تتميز بجوهر خاص تستفيد منه الحياة الفلسفية ' لأنه مثلما نعلم أن جميع الصور الثقافية لم تنطلق من العدم ' بل اعتمدت في عملية تشكيلها لكامل نظرياتها الفلسفية على بدايات الحياة اليومية البسيطة ' والدليل على هذا مثلا نموذج علم الهندسة بوصفه شكلا ثقافيا ' هذا الأخير لم يتوصل الى بلوغ شكله الأخير الذي وصل الى قمة التطور هكذا دفعة واحدة وبالصدفة ' بل قد ساعدته

في ذلك تلك البدايات و البدايات الخاصة بالعالم المحيط 'العالم العيني للوجود البشري. (ان العالم اليومي والعالم العلمي' أو ما يمكن وصفه بما هو جملة الصياغات النظرية والعلمية' تشكيلتان تنتجان عن مختلف انجازات الوعي القصدي' الا أن الثاني من درجة أعلى من الأول كما تنتمي انجازاته الى مقام أعلى أيضا' ولكن ما تكشف عنه فينومينولوجيا هوسرل هو أن الثاني يقوم على الأول أو هو صورة ساذجة له. أنظر: (قواسمي مراد' أزمة العقل النظري: فينومينولوجيا الأزمة وغياب الحس التاريخي' مجلة أوراق فلسفية' ص 161).

ولهذا يرى هوسرل أنه لا يجب انكار قيمة و وجود هذه البدايات التي مثلت الأرضية لظهور النظريات العلمية و العلوم الدقيقة. « وإذا تأملنا الأمر بدقة' ألا يؤدي انكار بدايات الفهم هذه القائمة على اعادة التركيب الى أن تفقد كل حياتنا الاجتماعية سندها؟ ان كل استشعار وكل فهم للوجود البشري المشترك وللعالم المحيط البشري) الذي هو أولا وآخر عالم ثقافي. (هوسرل' 2008' ص 586)

يمكن أن نطلق تسميات مختلفة للعالم الذي تنجز فيه الذات أعمالها الثقافية' مثلا نقول عالم المحيط' عالم الحياة' عالم التجربة اليومية' العالم الطبيعي قبل العلمي' عالم المعيش' لكن المصطلح الذي تداولته كتب هوسرل وفضلت استعماله هو عالم العيش هذه الكلمة تتكون من مفردتين: «عالم' وحياة' بمعنى حياة الوعي من حيث هي حياة قصدية. رغم أنه هوسرل ليس هو الذي نحت هذا المصطلح' فقد عرف بعد استعمال هوسرل له انتشارا واسعا ومارس تأثيرا كبيرا في الفلسفة وخارجها. منذ الكتاب الأول من كتاب الأفكار وجه هوسرل اهتمامه لمسألة العالم. لكن يبدو أنه في مرحلته المتأخرة بدأ يستعمل مصطلح عالم العيش بسبب اهتمامه بنقد العلوم الحديثة والنزعة الموضوعية المرتبطة بها. لذلك كان على هوسرل أن يميز المفهوم الفينومينولوجي للعالم عن المفهوم العلمي للعالم' أي العالم كما تتمثله الصيغ والنظريات العلمية. لهذا بدأ يستعمل مصطلح عالم العيش للدلالة على العالم من حيث هو أفق مرتبط بإنجازات الذات. عالم العيش هو العالم الذي تجري فيه حياتنا اليومية' العالم كما هو معطى في حياتنا اليومية قبل العلم وخارجه' والعالم الذي تبدو لنا فيه الأشياء بكيفية ذاتية نسبية. ان كل ممارساتنا تجري على أرضية عالم العيش' وحتى الممارسة العلمية تعتمد حسب هوسرل على بدايات عالم العيش ونقوم على أرضيته.» (المصدر نفسه' ص 643' 644).

« فالحياة' ليست مجرد خاصية حية غير تأملية تميز الموقف الطبيعي. انما هي أيضا' وليست أقل من ذلك' الذاتية المختزلة ظاهراتيا التي هي مصدر جميع الموضوعيات. ان الحياة هي ما يشدد عليه هوسرل بوصفها منجزة في نقد النظرة الموضوعية الساذجة للفلسفة السابقة بأكملها. فهو يرى أن هذا المنجز يتمثل في الكشف عن زيف المجادلة الإبيستمولوجيا الطويلة الأمد بين المثالية والواقعية' وفي جعل التناسق الداخلي بين الذاتية والموضوعية موضوعا مدركا (غادامير' ناظم' سنة 2007' ص 347).» كما أننا في هذا العالم' عالم الحياة' ذوات فاعلة لها تجربات وتفكيراتها وتقويماتها اننا ذوات أنوية باستطاعتها وضع الغايات وتحضير الوسائل لبلوغها. إننا أنوات يتقوم العالم برمته' بما فيه من معاني الكينونة والقيمة' في أفعالها الذاتية الخاصة والمتنوعة. كل هذه أفعال لنا

عالم المعيش و مسائل الثقافة في منظور فينومينولوجيا هوسرل.

تتغير وتتبدل باستمرار فيما يبقى العالم الذي نحيا فيه هو ذاته نفس العالم عينه. إنه يحتفظ بهويته رغم كل التبدلات وخلال مختلف التغيرات 'وبعضها من صنعنا. إنه دائما يبقى لنا العالم المعطى لنا من قبل. (خوري ' سنة 1984 ' ص 125.) ويقول هوسرل عن عالم الحياة بأنه عالم قبلي معناه « كان موجودا دائما للناس: حتى قبل ظهور العلم. (المرجع نفسه ' ص 132.)

« ان عالم الحياة معطى من قبل كعالم زمكاني ' كعالم الأشياء الزمكانية ' وذلك بصفة هذه الأشياء موضوعات فعلية وممكنة للتجربة القبلعلمية. ان لنا في عالم الحياة أفقا عالميا كأفق امكانية تجربة الأشياء. هذه الأشياء هي حجارة وحيوانات و نباتات. لكنها أيضا بشر وبنى بشرية ثقافية. الا أن هذه كلها معطاة لنا ذاتيا ونسبيا (المرجع نفسه ' ص 133)

« إن عالم الحياة هو عالم حسي ' أو عالم الحواس. انه عالم العيان الحسي أو عالم الظهور الحسي. والعيان هو عيان العيني من حيث حضوره الفرداني. ففي كل اثباتات حياة الاهتمامات الطبيعية يقول هوسرل تلعب العودة الى عيان التجربة الحسية دورا بارزا. ذلك لأن كل ما يتبدى كشيء عيني في عالم الحياة له بطبيعة الحال جسميته ' حتى ولو لم يكن هو مجرد جسم مادي ' كالحيوان ' مثلا ' أو أي موضوع ثقافي ' أي حتى ولو كانت له صفات نفسية أو أي صفات و عيوية أخرى. (المرجع نفسه ' ص 127.)

يحاول أن يبين هوسرل أنه قبل أن تتشكل هذه المعرفة النظرية وتصبح على هذا الشكل العلمي الدقيق كانت قبلها المعرفة اليومية البسيطة المتصلة بالعالم المعيش ' فقد كان هذا العالم المعيش المحيط لتلك الممارسات الثقافية التي كان يقوم بها الناس ' انه يمثل (العالم المعيش) المرآة العاكسة للتجربة الحياتية اليومية.

« ان معنى وجود عالم العيش المعطى مسبقا هو أنه تشكيلة ذاتية ' إنه انجاز لحياة التجربة قبل العلمية. فيها يتأسس معنى العالم وصلاحيته وجوده ' أي العالم حسب الصلاحية التي يتوفر عليها بالفعل في كل وضعية بالنسبة لمن يجربه. أما العالم الحقيقي موضوعيا ' عالم العلم ' فهو تشكيلة من درجة عليا قائمة على أساس التجربة والتفكير السابقين للعلم ' وبالنتيجة على أساس انجاز صلاحياتهما. (هوسرل ' المصدر السابق ' ص 131.)

و أيضا يصف هوسرل عالم الحياة بأنه «عالم عملي. إلا أن للعمل معاني عديدة وللإنسان في بيئته الحياتية أنحاء مختلفة من النشاط العملي. فهناك العمل كما يقول هوسرل ' بمعنى المراس (براكسيس) وهو ينقسم ' بدوره الى قسمين. القسم الأول هو الممارسة العملية كما يعرفها الانسان منذ أن وجد بهذا المعنى كل ما نقوم به في حياتنا اليومية بغية تدويم حياتنا واغناء مضمونها الانساني هو من باب الممارسة العملية. أما القسم الثاني فهو نوع آخر وجدد تاريخيا طرا على الحياة البشرية في مرحلة متأخرة من مراحل وجودها. هوسرل يسمي هذا المراس الطارئ الممارسة النظرية. هذه الممارسة النظرية لها مناهجها الخاصة. انها فن النظريات. انه معنى مثالي غريب عن الحياة القبلعلمية ويكمن في مطلقة هذه الحقائق وجعلها نهائية وشاملة. (خوري ' ' المرجع السابق ' ص 131.)

« إن المعرفة العلمية على الرغم من دقتها وموضوعيتها تستند الى معطيات عالم العيش ' أي عالم التجربة

اليومية. هذه المعطيات تتميز بأنها ذاتية ونسبية' ومع ذلك' فإنها هي أساس كل معرفة موضوعية ودقيقة. ان الممارسة العلمية تتم في أفق العالم اليومي بصفته الأرضية التي تفترضها مسبقا كل ممارساتنا النظرية والعملية. والموضوعات التي يهتم بها العلم يتم بناؤها اعتمادا على معطيات الحياة اليومية وبنائها. ان تحليل هوسرل لا يقودنا بتاتا الى التشكيك في قيمة المعارف العلمية' ولكن ما يرفضه هوسرل هو القيام بفصل المعرفة العلمية عن المعارف اليومية وعن التجربة السابقة على العلم (اسماعيل المصدق' سنة 2010' ص ص 170' 171) ما يسعى هوسرل الى تبينه هو أن كل ما ينتمي الى المرحلة العلمية وما وصل الى درجة متطورة من العلم الحديث' و كل تلك النجاحات والانتصارات التي حققتها هذه العلوم' لم تتأسس هكذا من عدم وصدفة' بل كانت قبلها مرحلة وصفها هوسرل بالحياة قبل العلمية و يقصد بها العالم المحيط أي العالم اليومي الذي تمارس فيه مختلف الأشكال الثقافية' اذن فقبل أن يكون العلم' هناك أولا اليومي الذي يمثل المبدء لكل ما سيظهر مستقبلا' فهو على العموم' يمثل الحقل الوحيد للإنسان بإعتباره الكائن الوحيد الذي يستطيع أن ينتج لنا ثقافة' حيث يمكن هذا العالم الطبيعي اليومي لأي شخص من تطبيق اهتماماته و ميولاته الثقافية التي ستتطور وتنتقل هذه الصور والأشكال الثقافية من مستوى بسيط وبدائي ساذج الى مستوى عالي ودرجة أرقى. وهذا الموضوع لقد عالجه أيضا هوسرل في كتابه الأزمة حيث يطرح فيه ماهية الثقافة والكيفية التي نشأت عليها أول مرة' أي حديثه عن الثقافة البدائية قبل العلمية التي كانت في العالم المحيط اليومي والتي قبل أن تتحول الى الثقافة العلمية الحقيقية.

وفي سياق آخر تحدث هوسرل عن (علوم الروح) وارتباطها بالعالم المعيش' هذه العلوم تهتم بدراسة الحياة الروحية للإنسان' وليست الحياة المادية الفيزيولوجية مثلما كرسست نظرها علوم الطبيعة الحديثة وكل اهتمامها على دراسة الجانب الجسدي للإنسان' مغيبة في ذلك قيمة وجوهر الذات الفاعلة والمبدعة' لأنه وفي نظر هوسرل أن كل هذه العلوم الروحية توجه كامل اهتمامها النظري الى الناس كأشخاص وإلى حياتهم الشخصية وإلى إنجازاتهم الشخصية وأيضا الى تشكيلاتهم الثقافية وفي تعريفه هوسرل للحياة الشخصية يقول: أنها « تعني الحياة كأنا و كنحن بكيفية جماعية' وفي أفق جماعي' وذلك في جماعات من أشكال مختلفة' بسيطة أو مركبة من درجات' مثل العائلة' والأمة وما فوق الأمة. (هوسرل' المصدر السابق' ص 518).

و يرى هوسرل بأن هذه الحياة التي يقصدها هي هذا العالم المحيط أي عالمنا المعيشي الحياتي' الذي تتواجد فيه الأنا الذات و الأنا الآخر' هذا الانسان الذي يملك حياتين' أي الحياة الروحية' والحياة الفيزيولوجية اذ نجد أن كلمة الحياة ليس لها هنا معنى فيزيولوجي' انها تعني حياة تعمل من أجل غايات وتنتج تشكيلات روحية: انها حياة مبدعة للثقافة بالمعنى الأوسع في اطار وحدة تاريخية ما كل ذلك هو تيمة علوم متنوعة للروح.» (المصدر نفسه' ص 518).

ذلك وفي اعتقاد هوسرل بأن ماهية الثقافة تتجلى داخل الذات الانسانية بإعتبارها أنها هي من تملك القرار' والارادة

والابداع والرغبة وكل القدرات والملكات الذهنية في الابتكار والابداع لتشكيل الصور الثقافية. وعليه لقد تقرر بأن مفهوم الثقافة لدى هوسرل هي كل ما ينتمي الى الذات المفكرة التي تجعل العقل هو المنطلق لكل شيء، وعلى حد تعبير الفلاسفة الألمان يون يقصدون بالثقافة هي كل تلك العلوم الروحية، وهوسرل نفسه يرى بأن الثقافة تظهر في الذاتية الروحية.

وسيتين ذلك بوضوح كبير في نص هوسرل الذي قدمه في مقاله: الفلسفة علما صارما يتضمن موقف هوسرل عن ماهية الثقافة والتي يقابلها بمفردة جهالة، وعن ماهية الانسان المثقف فهو يقول: «ان الانسان صاحب التجربة المتعددة الأبعاد» أو كما نقول أيضا: الانسان المثقف ليست لديه تجربة بالعالم فحسب بل لديه أيضا تجربة أو ثقافة دينية، وجمالية، وأخلاقية، وسياسية، وعملية، وتكنيكية الخ. ومع ذلك فإننا لا نستخدم هذا اللفظ المطروق بكثرة: لفظ ثقافة (بيلدونغ) طالما لدينا اللفظ المقابل له وهو جهالة (إينبيلدونغ). (هوسرل، 2002، ص 87)

تعتبر اذن ماهية عالم المعيش عند هوسرل باعتباره العالم الأول الذي نشأت فيه الثقافة، انه عالم حياة البشر، عالم الأشياء، عالم الحيوانات عالم الوجود بأكمله. فكما أشرنا الى صورة الثقافة كيف كانت في هذا العالم المحيط، عالم الحياة البسيطة، حيث قدم لنا هوسرل تمييزا بينها وبين الثقافة المتطورة العلمية، هذه الأخيرة التي سنوضح مظاهرها لاحقا. في هذا الصدد يقول هوسرل: «لنبدأ بتوضيح النوعية العجيبة للفلسفة التي تنتشر باستمرار في علوم خاصة جديدة لنقارنها مع أشكال ثقافية أخرى متوفرة لدى البشرية قبل العلمية، ومع الصنائع اليدوية، ومع زراعة الأرض، ومع أسلوب السكن... الخ هذه كلها أصناف من المنتجات الثقافية مع المناهج التي تستعملها من أجل انتاجها بنجاح أكيد. وفيما عدا ذلك فإنها تتوفر على وجود عابر في العالم المحيط، أما المكتسبات العلمية فإنها تتوفر بعد بلوغ المنهج الذي يمكن من انتاجها بنجاح أكيد، على كيفية الوجود مغايرة تماما. انها لا تنقضي ولا تزول ان تكرر انتاجها لا ينشئ المثل (هوسرل، المصدر السابق، ص 528).

يوضح هوسرل هنا نوعية وشكل الثقافة في العالم المحيط (عالم العيش) كيف كانت الثقافة قبل العلمية ويقارن بينها وبين شكل الثقافة العلمية، حيث أن الأعمال والمنتجات الثقافية في عالم المعيش اليومي، مثلا الصنائع اليدوية، الفؤوس، زراعة الأراضي، أسلوب السكن... الخ فهي تعتبر فعلا ثقافة ورغم بساطة أساليبها الا أنها ساهمت في تأسيس العلوم والنظريات العلمية، في المقابل لا يمكنها أن تبلغ المستوى العلمي ولهذا فإنها تبقى معرفة ظنية ونسبية ويمكن ان يتطرق الشك اليها، لأنها مازالت أشكال ثقافية تكون مناهجها جد بسيطة وضعت لأجل تحقيق غايات والحاجات اليومية للإنسان، وعليه فإنها تقتصر مهمتها فقط في تحقيق أهداف عملية، حيث ينتهي وجود هذه الثقافة بمجرد ما تنتهي حاجة الانسان ومنفعته، في المقابل نرى أن هذا الأمر لا يحدث داخل الثقافة المتطورة العلمية وهذا واضح في الفلسفة بوصفها شكلا ثقافيا بامتياز، انها تتوفر بعد بلوغ المنهج

المناسب لها الذي يمكن من انتاجها بنجاح مطلق' على غايات وأهداف تتصف بالعلمية والقيمة العالية على حد تعبير هوسرل والتي تسعى الى بلوغ الحقيقة الشاملة.

وعليه» ليس هناك في الأفق التاريخي قبل الفلسفة أي شكل ثقافي آخر يمكن اعتباره ثقافة للأفكار بذلك المعنى ويعرف مهام لا متناهية' يعرف تلك العوالم' يعرف تلك العوالم من الموضوعات المثالية التي تحمل' حسب معناها' في كليتها' وفي جميع فردياتها وكذلك مناهج انتاجها الانهائية» (المصدر نفسه' ص 530). ففي تصور هوسرل لا يوجد شكلا ثقافيا بإمتياز خارج عن الفلسفة' فهي أسمى وأرقى النماذج الثقافية على الإطلاق' وهذا ما سنوضحه لاحقا.

ان الثقافة غير العلمية' أي هذه التي لم ترتقي بعد الى مستوى العلم' فهي مازالت تبحث عن سبل تحقيق حاجياتها اليومية والعملية' معناه كان الانسان خلال هذه المرحلة لا يهتم بإبداع وانجاز الأعمال الثقافية من أجل الهوية أو الثقافة' فالثقافة هي أسلوب حياة وهي تراث ولكل مجتمع ثقافة تميزه عن غيره' فمن خلال ثقافة أمة نتمكن من معرفة كينونة هذه الأمة وتاريخها' لكن الأمم البدائية كانت تنجز الصور الثقافية من أجل تلبية متطلباتها' فمثلا لولا الطلب والحاجة لما كانت هناك أشكال ورموز ثقافية' يعني أن الثقافة كانت تظهر تحت الطلب. اضافة على ذلك يرى هوسرل بأن العقل عند هذه المرحلة البدائية يصبح عاجزا ويكون تفكيره منغلقة وضيق' معناه سيتعطل تفكيره عن الإبداع والانجاز' وبالتالي فإن أفق التفكير لديه تبدأ في التقلص' « واضح أن كل هذه المعارف المنتمية للحياة الطبيعية قبل العلمية وغير العلمية « ذاتية-نسبية». انها تتعلق بالعالم المحيط البشري كما تؤوله الذوات المعنية. (المصدر نفسه' ص 592).

وهكذا» ان الثقافة غير العلمية' التي لم يلامسها العلم بعد هي مهمة الانسان وانجازه في مجال التناهي' حيث لم ينكشف بعد الأفق المفتوح دون نهاية الذي يعيش فيه' فغاياته' وفعله' وحياته العملية' وحوافزه الشخصية والجماعية' والوطنية' والأسطورية' كل ذلك يجري في عالم محيط متناه يمكن الاطاحة به- لاوجود هنا لمهام لا متناهية' لمكتسبات مثالية تمثل لا نهائيتها ذاتها حقل العمل' وذلك بالضبط بحيث يكون العاملون فيه على وعي بأنه يوجد كحقل لا متناه من المهام. (المصدر نفسه' ص 530).

لكن الأجيال التي أنت فيما بعد كما قال هوسرل لم تبقي على هذه الثقافة العملية الساذجة' بل تغيرت وارتقت الى مستوى الثقافة العلمية' فمن خصائص الثقافة التغير فهي متغيرة اذ تتحول من حالة الى حالة' بمعنى من الثقافة البربرية الهمجية الى الثقافة المتحضرة على حد تعبير لويس مورغان من هذا' ونرى هذه الثقافة المتحضرة مع الحضارة اليونانية فقد أخذت هذه الثقافة الجديدة مستوى عالي يقر العالم كله بأسلوبها الحضاري العلمي الذي ظهر فقط مع ميلاد الأمة اليونانية. حيث يقول هوسرل: « مع ظهور الفلسفة اليونانية وتشكلها الدقيق الأول من خلال الامثال المتواصل للمعنى الجديد حدث من هذه الزاوية تحول مستمر (المصدر نفسه' ص 131). فقد تمكنت الفلسفة العلمية الشاملة عند اليونان وبفضل عبقريتها العقلية أن تغير وتنتقل بالثقافة الأولى اليومية غير

عالم المعيش و مسائل الثقافة في منظور فينومينولوجيا هوسرل.

العلمية الى ثقافة علمية وحقيقية' « وهكذا فإن الثقافة العلمية في ظل أفكار الانهائية تعد ثورة في الثقافة بأسرها' ثورة في كل شكل البشيرة كمبدعة للثقافة. (المصدر نفسه' ص 531) ان الثقافة الحقيقية عند هوسرل هي الثقافة الفلسفية' وبالتالي ومع تطور الشكل الثقافي الفلسفي' ومع تطور مناهجه النقدية' تطورت معها الإنسانية الثقافية' اذ أصبحت هذه الثقافة على أفضل نموذج' وذلك بسبب ظهور ذلك الموقف النظري الفلسفي القائم على النقد' الذي لا يقبل بأي فكرة تقليدية ساذجة إلا ويضعها تحت الشك والسؤال' اذن يجب على الإنسان أن يسير حياته وفق معايير علمية يصل من خلالها الى طريق الحقيقة' هذا يعني أنه ينبغي على الإنسان أن يؤسس ثقافة حقيقية علمية بحيث ينتقد كل ثقافة لا تزال بدائية في أسلوب حياتها.

يرى هوسرل أن هذه الذات المنجزة ملتزمة بعالمها المحيط' معناه الأنا الذات متضمنة في العالم المحيط ومتسكة به وتتحدد ماهيتها ووجودها فيه' بحيث « ماهية الشخص تتعين من خلال تقوّم متبادل بينها وبين عالم محيط. ان العالم المحيط يتميز عن العالم الطبيعي' لأنه لا ينفصل عن الذات' فهو حاصل لجملة معيش تجاربها' فلا يوجد أبداً بصفته عالماً في ذاته' لا ينفصل عنها لأنها لا تحقق وعيها بذاتها الا من خلاله وفيه' ولذلك يؤكد هوسرل أن مفاهيم الأنا والعالم المحيط مفاهيم ترتبط بعضها ببعض ارتباطاً لا ينفصل. (الزراعي' ص 194). وليس هذا فقط' أيضاً فقد طرح هوسرل فكرة التذاوت وفي علاقتها بالعالم المحيط' لأنه يبحث عن العالم الذي تتواصل فيه الأنوات وتتبادل الأفكار والثقافات' أي يريد تحقيق فكرة التواصل المعرفي الثقافي ما بين الذات' وهذا يعني أن العالم المحيط هو بمثابة فضاء حضاري أو مشترك تلتقي فيه الذات ليتواصل بعضها ببعض. انه فضاء تكون فيه تلك الذات أعضاء نشطة وفاعلة' فهي تستند اليه لإحداث شكل من التفاهم والتواجد معا. ولذلك فإن الشخص يتقوّم بمقتضى ذلك العالم بصفته ذاتاً اجتماعية. انه عضو في مجموعة أو في ثقافة أو في حضارة لا يمكنه الا أن يستقي قيمه منها. (المرجع نفسه' ص 194. 195). « و يقتضي العالم المحيط أيضاً (اتفاقاً) بين أعضائه لا يحصل أفقياً' بل بتأثير فكري متبادل بينهم. فذلك كله يفترض تقويمات موضوعية للأشياء والأفكار والقيم والمعارف من قبل أعضائه. انه عالم يقتضي موضوعية الأشياء من درجة عليا لا تستخلص من تجربة الأنا فحسب' بل تتقوم تذاوتيا في تجربة الآخرين' فهو عالم ذو وجهين: أولهما ذاتية اجتماعية بما يتضمن من تقويمات فردية' وثانيهما موضوعية اجتماعية' بما يشترطه من تواصل فكري- ثقافي بين الذات. (المرجع نفسه' ص 195).

ونجد نصال هوسرل يعبر فيه عن فكرته في الدعوة الى تحقيق فكرة الحياة المشتركة' أي الحياة الجماعية' ففي مثل هذه الحياة يقول هوسرل تطورت الثقافة الجماعية. وبالتالي تنشأ العلاقات الاجتماعية التبادلية' ويتحقق التواصل والحوار الثقافي بين الذات' فحياة الأنا الذات تتواصل وتشارك مع حياة الأنا الآخر' وعليه ان « الوجود البشري الفردي ينشأ عن التناسل ويجري في علاقات مرتبطة بالتناسل' ولذلك لا يعرف حياة منجزة منعزلة' كل مشروع وعمل للأنا الفردي يضم في أفقه ذات متواجدة أخرى مع مشاريعها' وانجازاتها الفعلية والممكنة' يجب

على كل واحد أن يراعي الآخر في حال النزاع أو الصراع ' تتساوى حياة كل أنا مع حياة الذات المتواجدة معه ' في البداية في جماعة الحياة العائلية ' ثم انطلاقا من ذلك في درجات أعلى في جماعة حياة القبيلة والشعب ' كل درجة من هذه توارثها وحدة تقليد متماسك ينتمي للنحن الذي يتعلق به الأمر أي للمفهوم الشخصي في درجة (لمثيل أنا) (هوسرل ' المصدر نفسه ' ص 589)

ذلك أن « الحياة المترابطة تناسليا ' والتي تنتمي للوجود البشري في العالم المحيط ' حيث تظهر في هذه الحياة ' جوانب انسانية تشترك فيها كل الناس ' مما يتوفر على الترابط والتماسك ' إذ يشترك الأفراد وكل الذات فيما بينهم ' ان هذا العالم المحيط ' أي عالم العيش الذي تشترك فيه جميع الأنوات الفردية بجماعة النحن (نحن عائلتنا ' نحن قبيلتنا ' نحن الألمانيون * ' نحن شعبنا - نحن الألمان) التي يتعلق بها الأمر . (المصدر نفسه ' ص 589 .)

هذه اذن أهم التحليلات الفينومينولوجية التي قدمها هوسرل حول معنى العالم المحيط ' باعتباره عالما المعيشي ' العالم الأول الذي تجري فيه انجازاتنا الثقافية ' لكن صلاحية عالم العيش لم تبقى على عهدها خاصة مع تطور العلوم الحديثة وابتكار القوانين الرياضية والفيزيائية ' اذن أصبح هناك ما يعرف بأزمة عالم العيش التي حصلت بسبب سيطرة النزعة الموضوعية وفهمها الضيق للعلم ' هذا الأخير الذي قام بإقصاء كل الأسئلة التي تتعلق بالإنسان ' وهذا ما يدفعنا الى التساؤل عن حقيقة أزمة عالم العيش ' فما معنى القول بوجود أزمة عالم المعيش ؟ ما طبيعة التحليل الفينومينولوجيا هوسرلي لأزمة عالم العيش ؟

إن معنى أزمة عالم العيش حسب هوسرل أنها تعني أن هذا العالم أصبح منسيا ومغيبا على الرغم من الأهمية الأنطولوجية التي يتضمنها ' والسبب الكامف وراء هذا النسيان وهذا التهميش ' هو العلم الوضعي الحديث ونزاعته الموضوعية المرتبطة به ' هذه الأخيرة التي اعتقدت أنها السلطة والقوة الوحيدة في الوجود التي تعتبر أنها الوحيدة التي حققت النجاحات وأنها وصلت الى الدقة والعلمية ' ما جعلها تنسى الأرضية الأولى التي انبثقت منها ' أي اهمالها واقصائها للعالم المحيط اليومي ' الذي يمثل البدايات والأصول الأولى لكل شكل أو نظرية علمية ' فكما يقال أنها أنكرت الفضل ' وهذا بالذات ما فعلته العلوم الرياضية والفيزيائية وكل العلم الحديث ' لقد نسيت فضل عالم العيش ' الذي كان قائما مسبقا قبل العالم العلمي . هذا كله جعله هوسرلي يستعمل المنهج الفينومينولوجي لمعالجة وتحليل مشكلة وأزمة عالم العيش ' وذلك من خلال العودة الى ما قبل حدوث الأزمة من أجل النقد والفحص ' وهذا طبقا لعبارته الأساسية : « العودة الى الأشياء ذاتها . »

إن نسيان علم الطبيعة لأساسها الذي اعتمدت عليه في نشأتها قد تولد عنه أزمة ثقافية عميقة ' وقد لاحظنا « ما جرى مع غاليليه من دس (دس : يعني الفعل في العادة نسب شيئا ما) (سلبيا في الغالب) خلصة وبكيفية غير مبررة الى شخص ما . يرى هوسرل أنه ابتداء من غاليليه بدأ عالم المثاليات الرياضية - الفيزيائية ' الذي ليس في الأصل سوى تركيب نظري منطقي ' يوضع أو يدس محل العالم المعطى فعليا في التجربة الحسية اليومية .)

أنظر: كتاب الأزمة' 104).

لعالم المثاليات الذي هو تركيب نظري رياضي محل العالم الواقعي الوحيد' المعطى واقعيا في الإدراك' عالم التجربة الفعلية والممكنة-عالم عيشنا اليومي' هذا الدس سرعان ماتوارثه الخلف' فيزيائيو القرون اللاحقة كلها (هوسرل' المصدر نفسه' ص104) يرى هوسرل أن أزمة عالم العيش' لقد تجلت بوضوح مع غاليلي* وتصوره لعلم الطبيعة' بحيث يبين هوسرل بأن مصدر تحصيل المعرفة يكون من خلال تجاربنا اليومية البسيطة' لأن « المعرفة ذاتها مشروع وانجاز' لكنها مشروع وانجاز يعلو أو بالأحرى يستطيع أن يعلو بكيفية خاصة فوق كل المشاريع العملية للحياة وبذلك بالضبط يخدمها' وبالنتيجة يخدم ارادة الحياة وقدرة الحياة..... فإن الحياة تكون دائما غنية سلفا بالمعارف واضح أن كل هذه المعارف المنتمية للحياة الطبيعية قبل العلمية وغير العلمية ذاتية نسبية' انها تتعلق بالعالم المحيط البشري. (هوسرل' المصدر نفسه' ص' ص: 591' 592)

نلمح هنا نوع من المفارقة عند هوسرل' فهو يعترف بمدى أهمية هذا العالم اليومي باعتباره يمثل البدايات و البدايات تلك نظرية علمية' وفي الوقت ذاته يعترف بالقصور والضعف لهذه المعرفة التي تصدر من عالم الحياة اليومية بدعوى أنها معرفة نسبية. لكن هوسرل يعود من جديد ويقر بمدى أهمية هذه المعرفة على الرغم أنها نسبية ولانهاائية وأنها لا تتمتع بالدقة العلمية لكنها قدمت الكثير وعادت بالمنفعة على العالم العلمي. اذ نجد هوسرل يقول هنا: « ان الفيلسوف لا يريد أن يعطي للعالم اليومي للحياة' العالم الذي تجري فيه كل ممارسة حياتية طبيعية' والذي يكون موجودا أمام عينيه في وضعيات معينة كيقين داخلي لا يسأل عنه' صلاحية بصفته العالم الحقيقي. ان كون كل شيء فيه وكون هذا العالم المفترض لا يعطى الا في تأثيرات حسية ذاتية تختلف من شخص لآخر: هذه تسبق كل النظريات' واذا نظرنا بدقة' تفترض في هذه النظريات هي ذاتها' رغم أنها ليست حقيقة فلسفية حسب هذه النظريات. (المصدر نفسه' ص627)

« ذلك أن كل علم يتضمن بالضرورة إحالة محفزة الى عالم التجربة المعيشة' حيث ينكشف أصل معناه بواسطة سلسلة متراكبة من بدايات أكثر أو أقل تجريدا' تفترض كلها بدايات أولى غير مجردة' أي تجربة بمعنى نهائي وأصلي. إن رد العلم الموضوعي وتوضيح معناه يبرز الحضور الأساسي للعالم الأصلي' وهو عالم الحياة. هذا الأخير يكون معطى بشكل سابق لك معرفة علمية. بهذا فإن كل علم يتأسس ويبرر معناه المنطقي في' ومن خلال علاقته بعالم الحياة. (بونفقة' 2012' ص102)

ولما نعود الى غاليلي وفي موقفه المعارض والثوري لكل نظرية علمية تأسست من منطلق المعرفة اليومية' هذه الأخيرة التي يراها عديمة من كل الصلاحية والمطلقية' فهي لا أساس لها من الصحة والحقيقة' وبالتالي لا يمكن أخذها كمنهج لعلم الطبيعة' لذلك راح يبحث عن منهج علمي دقيق قائم على النزعة الموضوعية' هذه النزعة التي لا تقر بجوهر تلك التصورات الفكرية المنبثقة من الذاتية بدعوى أنها نسبية تختلف من فرد الى آخر' وتتغير كلما تتغير الظروف' عكس المعرفة المطلقة التي لا يمكن تحصيلها إلا عن طريق اتخاذ النزعة العلمية الموضوعية

الدقيقة. وبالفعل يكون غاليلي قد حقق ما حاول من أجله ' أي تأسيس علم صارم بالطبيعة ' وهنا كانت بوادر تشكيل الأزمة ' أي أزمة عالم المعيش .

إذا فقد عارض بشدة غاليلي وكغيره من العلماء الذين ينتمون الى المجالات العلمية الدقيقة كالفيزياء ' الكيمياء ' الرياضيات ' العلوم الطبيعية ' أي معرفة يومية ' التي تفتقر الى كل علمية وموضوعية ' فهي تبقى مجرد معرفة بسيطة غير متيقن من نتائجها ' فهي معرفة شكية أي خادعة على حد تعبير غاليلي وكل عالم مختص في العلوم الدقيقة ' ولهذا كانت دعوته تصرح بتجاوز هذه المعرفة اليومية ونسيانها ' وبالتالي التمكن من تحقيق العلم الدقيق البعيد نهائيا عن أي معرفة ذاتية نسبية مؤسسة على اليومي .

لكن هوسرل انتقد بشدة موقف غاليلي حول تصوره لعلم الطبيعة ' وقدم براهين وحجج في تحليله النقدي اتجاه غاليلي ' بحيث قام هذا الأخير بنسيان عالم المعيش ' العالم الذي تتواجد فيه حياتنا ومختلف المسائل المرتبطة بحياتنا: كالحرية ' التاريخ ' الغاية كلها مسائل أصبحت مغيبة في تلك النجاحات والتطورات الهائلة التي حصدها القرن 19 . وبالتالي تشكل الأزمة الإنسانية وحدثها عندما تم نسيان عالم المعيش اليومي ' اذن غاليلي قد قام بنسيان الحوافز والبدايات الأصلية التي وضعها هذا العالم اليومي ' التي تمثل الركيزة لكل تلك الأفكار العلمية والرياضيات الحسابية والهندسية . فغاليلي مثلا وخلال تصوره وفكرته حول الهندسة لم يهتم بالفكرة الأصلية لنشأة علم الهندسة .

لأن علم الهندسة قبل أن يصبح على هذا الشكل العلمي النظري ويبلغ صورته النهائية كانت معالمه مجسدة أولا في عالم التجربة اليومية ' فإذا سلمنا باعتقادات وتصورات الباحثين والعلماء المختصين في العلوم الوضعية التي تدعو الى نسيان هذه المراحل الأولى والتدشينات التي كان لها الفضل في نشوء العديد من العلوم ' فهناك من يرى أن هذه الأشكال الهندسية منفصلة عن عالم المعيش ' وهنا يتبادر الى أذهاننا السؤال التالي: كيف نفسر حاجتهم الى الوسائل العملية للقيام بوضع شكل الدوائر وجميع الاشكال الهندسية؟

مثلا عند وضع هذه الأشكال الهندسية العلمية المتطورة بين قوسين وتحليلها ' والسؤال عن مصدر ظهورها سنكشف أنها انبثقت من عالم المعيش ' وبالتالي فالعلم ارتبط بالاحتياجات العملية ' فعلى سبيل المثال الشكل الهندسي الدائري استلهم من خلال رؤية الانسان للأشياء الدائرية ' فلولا هذه الموجودات الدائرية لما تمكن الانسان من الوصول الى تصور الشكل الهندسي للدائرة ' وليس هذا فقط الى كل الأشكال الرياضية العلمية المصاغة ' فمسم الأراضى كان سابقا على علم الهندسة ' وعليه فإن هذه العلوم النظرية الدقيقة في بداية نشأتها وتطورها قد ارتبطت باحتياجات وانشغالات الأفراد في عالم المعيش .

هكذا يتحدد معنى أزمة عالم المعيش ' الذي تم تهميشه ونسيانه بسبب سلطة العلوم الحديثة ونزعته الموضوعية ' بحيث نتج غياب كلي للإنسان الذي هو أساس الوجود وحقيقته ' فدراسة الإنسان بواسطة مناهج العلوم الحديثة ' هو اعلان عن موته ' لأنه من غير الممكن اعتبار الذات الانسانية ظاهرة فيزيائية مثلها مثل الظواهر

عالم المعيش و مسائل الثقافة في منظور فينومينولوجيا هوسرل.

الطبيعية العلمية' من هنا « نلاحظ أن الفينومينولوجيا شأنها شأن كل فلسفة قامت كي تناهض مثاليات العلم الطبيعي وتنشق عنها' لأنها تشييء الانسان وتموضعه وتجرده من إنسانيته. (الخولي' د.س' ص 42) «إن الشيء الذي يُظهر لنا أن عالم العلم هو عالم بلا حياة هو استبعاد العلم لكل المحمولات التطبيقية' القيمية والثقافية التي بواسطتها تكتسب الموضوعات معنى وقيمة بالنسبة إلينا. فمن الواضح مثلا أنه لا أحد يستطيع أن يقول في عالم جاليلي عالم الفيزياء الرياضية عبارات مثل: الطقس جميل أو البحر هادئ.. الخ' كما أنه لا يوجد أي معنى للحديث عن الغابات' الضيعات' المنازل' الأدوات... الخ' ذلك أننا إذا نظرنا من الزاوية العلمية' فإنه يجب علينا أن نتجرد من ذواتنا باعتبارها' أو باعتبارنا أشخاصا نملك حياة خاصة' أي نتجرد من كل ما هو روحي بأي معنى كان' ومن كل الخصائص الثقافية المتصلة بالموضوعات في الفعل الإنساني. (بونفكة' المرجع السابق' ص' ص: 144' 145) ومن هذا المنطلق يطرح هوسرل فكرة ضرورة الاعتراف والتساؤل عن هذه البدايات المنسية والتدشينات الأولى التي انطلق منها كل شكل ثقافي علمي دقيق' فهو يعترف ويقر بأهمية الاهتمام بعالم المعيش وإعادة الاعتبار له من جديد لأنه أساس تشكل الثقافة العلمية الحقيقية ومنبعها الأصلي' والدور الذي قدّمه للعلوم النظرية هذا العالم المحيط' مثلا نحن نتفاخر بتلك العلوم الوضعية التي حققت الدقة والموضوعية' لكن لا يجب أن ننسى بأن هذه العلوم رغم هذه الدقة والصرامة' تكون قد اعتمدت في تأسيسها وتحقيق نتائجها على أرضية عالم المعيش. ومن هنا جاءت فكرة الفينومينولوجيا من أجل العودة الى عالم المعيش' لأنه لا يمكن للإنسانية أن تخرج من هذه الأزمة الثقافية فقط إلا إذا فكرت في إمكانية صلاحية عالم المعيش. ويرى هوسرل أن صلاحية عالم المعيش لا تحصل إلا إذا اتصلت هذه العلوم الوضعية بعالمها المعيش الذي يشكل لها الأساس والبدء وبالنتيجة يرى هوسرل ضرورة العودة الى عالم الحياة.

هكذا يكون هوسرل قد استثمر مجهوده الفكري في إعادة الاعتبار لعالم المعيش واعطائه حقه الأوفر الذي يستحقه' فهو يملك الأرضية الرئيسية بالنسبة للذات وانجازاتها الثقافية' فهو المحيط الأول الذي تشكلت فيه الصور الثقافية أول مرة' هذه الأشكال الثقافية التي أصبحت أكثر تطورا وعلمية وخاصة مع ذلك الشكل الفلسفي الثقافي الذي ظهر مع اليونان القديمة.

الهوامش:

ادموند هوسرل' أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجيا الترنسندنالية' تر: اسماعيل المصدق' المنظمة العربية للترجمة' لبنان' ط 1' سنة 2008.

ادموند هوسرل' الفلسفة علما دقيقا' تر: محمود رجب' المجلس الأعلى للثقافة' القاهرة' ط 1' 2002.

اسماعيل المصدق' الفلسفة في عصر العلم والتقنية' نظرة فينومينولوجية' كتاب جماعي: التواصل: نظريات وتطبيقات' الشبكة العربية للأبحاث والنشر' لبنان' ط 1' سنة 2010.

انطوان خوري' مدخل الى الفلسفة الظاهرية' دار التنوير للطباعة والنشر' لبنان' ط 1' سنة 1984.

عالم المغيث و مسائل الثقافة في منظور فينومينولوجيا هوسرل.

محمد محسن الزراعي ' الفينومينولوجيا والمسألة المثالية ' التنوير للنشر والطباعة و التوزيع ' لبنان ' ط1 ' سنة 2010.

مراد قواسمي ' أزمة العقل النظري: فينومينولوجيا الأزمة وغياب الحس التاريخي ' مجلة أوراق فلسفية ' جامعة وهران.

نادية بونفقة ' فلسفة ادموند هوسرل: نظرية عالم الحياة ' ديوان المطبوعات الجامعية ' دط ' الجزائر ' 2012.

هانز جورج غادامير ' الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية ' تر: حسن ناظم ' دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع ' افرنجي ' ط1 ' سنة 2007.

يمنى طريف الخولي ' مشكلة العلوم الانسانية: تقنيها وامكانية حلها ' مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ' القاهرة ' دط ' دس.